الحياة
AL HAYAT
تجريبي
الجمعة، ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٧ | ١٣ صفر ١٤٣٩

«أسطورة» الفنان التشكيلي الجيلالي الغرباوي

بات البرنامج التلفزيوني الوثائقي «شريط حياة» يشكل محطة أساسية في مجال تسليط الأضواء على أعلام مغاربة رواد في المجالات الثقافية والفنية والرياضية وغيرها من المجالات الحياتية التي اشتغلوا فيها ما حولهم بفضل هذا التفوق والظهور إلى أساطير حديثة بحسب تعبير المفكر الفرنسي رولان بارت. ويتم هذا في حلقات البرنامج من خلال تقديم قصة حياة الرواد انطلاقاً مما توافر عنهم من معلومات حيث تقوم مقدمة البرنامج بعرض تلك المعلومات بطريقة احترافية مميزة ، مع تقديم شهادات من المهتمين بالشخصية المقدّمة سواء من النقاد أو من الأصدقاء الذين كانوا على معرفة قوية بهم، وكل ذلك تتخلله لقطات تلفزيونية حية تبين بعض المحطات الباهرة في حياة هذه الشخصية.

وهكذا بعد أن قدم هذا البرنامج التلفزيوني ثلاث حلقات خلفت أصداء في الصحافة الفنية المغربية المكتوبة، إذ تناولت كلاً من الكاتب الكبير إدمون عمران المالح والرياضي الشهير سعيد عويطة والفنانة الشعبية الظاهرة فاطمة بنت الحسين، قدمت أخيراً حلقة لافتة عن الفنان التشكيلي الذي شكل الأسطورة – الحدث الجيلالي الغرباوي. وهو الفنان الذي عاش حياة صعبة بدءاً من الطفولة إلى لحظة الوفاة، حضر فيها الفن إلى جانب المأساة جنباً إلى جنب.

ابتدأ البرنامج كما العادة بتقديم نبذة مختصرة لكن مركزة وعميقة عن الجيلالي الغرباوي وعن وضعه في مصاف الفنانين التشكيليين الكبار. وخلال تتبع مساره في هذه الحلقة التلفزيونية الخاصة به يتعرف المشاهد الى الجيلالي الغرباوي الذي عانى من فقد الأبوين وهو لا يزال صغيراً، ثم يتابع بروزه في الرسم وذهابه إلى مدينة باريس لدراسة الفنون التشكيلية هناك وتألقه اللافت الذي جعله محط الأنظار، كما يرينا كيف ذهب بعد ذلك إلى روما ثم زار كثيراً من البلدان الأوربية وصولاً إلى اليابان وأميركا قبل عودته مجدداً إلى مدينة باريس حيث يقضي نحبه وحيداً على كرسي في إحدى الحدائق، ليكمل هذا الموت أسطورته التي انطلقت منذ أن كان أول من جرؤ من الفنانين التشكيليين المغاربة على ممارسة الفن التجريدي في التشكيل، ما دفع البعض في البداية إلى اعتبار أن ما يرسمه لا يمت الى فن الرسم بأي صلة. ولكن بعد موته ستتمكن اللوحات من تحقيق أرقام قياسية من حيث أثمانها. وهوالأمر الذي يوحده مع كثير من الفنانين العالميين الغرباء / الغريبين فناً وأطوار حياة.

مزاد تاريخي

في سياق عرض هذه السيرة قدمت الحلقة لحظة مهمة من تاريخ تحقيق الوجود حتى بعد الوفاة، وهي لحظة مزاد «تاريخي» لبيع بعض لوحات الجيلالي الغرباوي في 14 تشرين الثاني (نوفمبر) 2010. وقبل ذلك لم تكن تلك اللوحات التي أصبحت تمتلك قيمة كبيرة، تثير الاهتمام الجديرة به يوم لم يكن أحد يرغب في شرائها كما أشار إلى ذلك بعض ضيوف البرنامج من العارفين بالفن التشكيلي وبمسار هذا الفنان التشكيلي الكبير ومن بينهم الفنان التشكيلي كريم بناني، والناقد الفني عبد الله الستوكي، والفنان التشكيلي ماحي بينيين، والناقد الفني فريد الزاهي، والفنان التشكيلي محمد المليحي، والفنان التشكيلي فريد بلكاهية وصديقه محمد الفاطمي وغيرهم. الكل تحدث عن هذه الموهبة الفنية الكبيرة التي كثيراً ما حصلت على التنويه من لدن النقاد الغربيين. حيث تم تقديم شهادة الناقد الفني فرنسوا كليمون والناقد الفني بيير غستاني الذي كان معجباً كثيراً برسومات الجيلالي الغرباوي وبفنه التشكيلي المدهش .

الى هذا عرض البرنامج كيف عاش الجيلالي الغرباوي لحظات صعبة في حياته دفعته للانغماس في الكحول. فانغمس في ذاته وفي عزلة أبعدته عن الناس. فكان فناناً مختلفاً، عاش في الصمت وبحث عن النور في لوحاته. وحين مات في مدينة باريس غريباً هناك اكتملت ذروة أسطورته.